متى تحارب اسرائيل ؟

بقلم هيثم الكيلاني

ـ ١ ـ

لا بد للناظر الى خريطة اسرائيل من ان يدهش من شكلها الجغرافي ، ووضعها السياسي ضمن بلاد تحيط بها وترفض استمرار وجودها العدواني . وقد استطاعت اسرائيل بعد هدنة عام ١٩٤٩ ان توسع حدودها حتى بلغت مساحتها نحو ٢٠٠٠٠ كلم مربع ، نصفها في صحراء النقب . وتلتقي مع الارض العربية بحدود طولها ١٠٨٠ كلم ، تنهمك في الدفاع عنها . ومن الملاحظ ان الجزء المفيد من اسرائيل ، حيث تقطن الاغلبية العظمى من السكان ، يتمثل في شريط طوله ١٩٠ كلم على شاطىء البحر الابيض المتوسط . وتنفتح ارض اسرائيل وتتوسع شمالي حيفا وجنوبي تل ابيب ، وما بين هذين البلدين تضيق الارض حتى تغدو ممرا محصورا بين البحر والحدود بمسافات تتراوح بين ١٢ و ٢٠ كلم . اما السكان فيبلغ عددهم ٢،٢٤١،٠٠٠ نسمة حسب اخر احصاء لعام ١٩٦٣ .

ـ ٢ ـ

واذا كانت اسرائيل قد استنفدت طاقتها اليوم في تقبل سكان جدد ، وانجزت بذلك المرحلة الاولى من قضية « ايجاد ذاتها » ، فان خطتها العشرية التي اقرتها حكومة بن غوريون عام ١٩٥٩ ترسم المرحلة الثانية من هذه القضية . وتهدف هذه الخطة ، القائمة على اساس تنفيذ مشروع تحويل نهر الاردن ، الى تحقيق الاغراض التالية :

ـ وضع قاعدة ارضية متسعة وعميقة لاسرائيل ، وهو شيء تفتقده الان في الاشرطة الارضية الضيقة التي يتراكم فيها السكان ، مما يعرضها لان تكون مزقا متناثرة في أي لحظة .

ـ اقامة قاعدة اقتصادية ، فهي الان لا تعيش حياة طبيعية ، بل اصطناعية بالامداد الخارجي . ولذا فهي معرضة لان تهلك من ذاتها في اي وضع يؤدي الى قطع الامداد الخارجي عنها .

ـ انشاء قاعدة بشرية واسعة ، وما يستتبع ذلك من انشاء جيش ضخم يبلغ مليون جندي ، وذلك حسب ما ورد في الخطة المذكورة .

ـ ٣ ـ

ومن هذه الاغراض القريبة ، ومن الاغراض البعيدة للصهيونية ، تستمد اسرائيل اسس ستراتيجيتها التي تخضع في الوقت الحاضر لعاملين رئيسيين :

ـ ايمان اسرائيل بحتمية الحرب . اذ تقدر ان الحرب بينها وبين العرب لا محالة واقعة في يوم من الايام ، مهما بعد زمن اللقاء في ميدان المعركة .

ـ هشاشة كيان اسرائيل ، فصغر حجمها ، وقلة عدد سكانها ، وضعف مواردها ، ووقوعها ضمن حدود لا تمثل فواصل طبيعية تساعدها على الدفاع عن نفسها ـ كل ذلك يجعل كيانها هشا هزيلا ، حتى يكاد في منتصفه يختنق ، وتتقطع أوصاله وشرايينه لدى أول ضربة تنزل في ذلك الممر الضيق .

وبتأثير هذين العاملين وغيرهما من العوامل الاخرى ، أقامت اسرائيل ستراتيجيتها على الاسس الرئيسية التالية :

ـ تلافي الاخطار الناتجة عن نقص العمق في أراضيها ، ففي ذلك الممر الضيق ، تمر شرايين المواصلات ، وتتوضح المدن الرئيسية ، التي تقع تحت مرمى المدفعية المتمركزة عبر الحدود في الاردن . اذ تستطيع هذه المدفعية ان تقطع اسرائيل الى جزأين ، وتنال من المدن ومن بينها تل ابيب .

ـ عدم التنازل عن اي شبر من الارض . اذ أن اي انسحاب او تراجع لا يعني سوى ازدياد احتمالات الهزيمة الكاملة .

ـ نقل المعركة من ارض اسرائيل عبر حدودها الى الارض العربية . وهذا هو الاساس الذي بنيت عليه الفكرة الهجومية التي يتميز بها المذهب العسكري الاسرائيلي .

ـ تبني فكرة « الحرب الصاعقة » ، اذ ان اسرائيل لا قبل لها بحرب طويلة الامد . فالحرب الصاعقة توافق ظروفها وامكاناتها .

ـ الامر الواقع ، الذي يتضمن عنصر المفاجأة . وقد حققت اسرائيل لنفسها بعض المكاسب من تطبيق سياسة الامر الواقع .

ـ ٤ ـ

واستنادا الى هذه الستراتيجية ذات المفهوم الهجومي ، تسعى اسرائيل الى انشاء جيش تريده ان يكون اقوى وأسرع جيش في الشرق الاوسط . وذلك لانها لا تود ان تنتظر عدوها وهي قابعة في حصونها وراء الحدود ، وانما تهدف الى ضربه بعيدا عن ارضها . ولهذا نراها تكثف قوتها الضاربة ، وتمركزها في مكان يساعدها على الانزلاق الى أي قطاع من قطاعات الحدود ، أما محاور الهجوم الاسرائيلي على الجبهات العربية ، فانها مقيدة بشكل ارض اسرائيل الطولاني . وبذلك يتحدد

هجـــومها بمحورين طولانيين ، احدهما نحو الجبهـــة السورية ـ اللبنانية في الشمال ، وثانيهما نحو الجمهورية العربية المتحدة وغزة وسيناء في الجنوب .

ونتيجة لاضطرار اسرائيل الى الاحتفاظ بقوتهـــا الحربية الضاربة بعيـــدة عـــن الجبهات قدر المستطاع ، والتستر في تعبئة قواها وسوقهـــا ، لجأت الى تغطيـــة حدودها بسور أحاطت به ذاتها ، يتمثل بشبكة القـــرى الدفاعية الامامية .

وتتألف هذه الشبكة من نحو الف مستعمرة وقريـــة منظمة ، اسست بمحاذاة خطوط الهدنة ، تصل بينها طرق متشابكة ، وتصلها بالمدن ومراكز القيادة وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية . والمستعمرة قلعة صغيرة محصنة ، محاطة بالالغام والاسلاك والخنادق ، ومهيأة للدفاع عـــن نفسها من جميع الجهات ، ومكتفية بذاتها من حيث الطعام والماء والمؤن والـــذخائر والمحروقات ومواد التحصـــين والاسعاف الطبي ، وكل ما يساعدها على الدفاع عن نفسها بنفسها . وتشبه فكرة المستعمرات اليهودية هذه ، مع اختلاف الزمان والمكان ، فكرة الحصون التي أسســـها اليهود في « خيبر » في الحجاز .

ولهذه القرى أهمية كبيرة من الناحية العسكريـــة ، فهي تؤلف مواقع دفاعية لصـــد الجيش المهاجم ، وكسر حدة الهجوم . وتعتـــبر قواعد يستنـــد اليها الجيش الاسرائيلي في حال شنه هجوما خارج حـــدود ارضه ، تحمي خطوط امداده وتدعم مؤخرته .

وقد اقيمت هذه القرى حسب خطة مزدوجـــة الهدف : زراعية وستراتيجية . وسكانها فلاحون جنود . وهم ـ رجالا ونساء ـ مهيأون لهـذه المهمة الثنائيـــة ، بدراسة زراعية عسكرية مشتركة . ويقومون في مخافرهم الامامية بواجبات المراقبة وجرس الانذار .

وتبدو هذه الشبكة في الشمال والوسط ، عـــلى الحدود السورية واللبنانية والاردنية ، متماسكة قويـــة كثيفة ، ولكنها في الجنوب ، في منطقة النقب ، رخـــوة مهلهلة . وعلى الرغم مـــن ندرة الماء في هذه المنطقـــة الصحراوية ، فقد أقـــام اليهود عددا من هذه القـــرى ، وبخاصة بعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ .

وتواجه اسرائيل اليوم مشكلة تنظيم الدفاع عـــن أرضها . وتتلخص معطيات هذه المشكلة في السؤال التالي:

« كيف يمكن تنظيم الدفاع عن ارض يبلغ عرضهـــا في بعض الامكنة ١٢ كلم ، وبرلمانها يقع ضمن مدى اسلحة المشاة الخفيفة ، ومدنها الكبرى تنالها قنابل المدفعيـــة المتوسطة المدى ، ومحاطة بجبهات تربطها بها هدن موقتة ، وشعبها أقل من مليونين وربع المليون ، وتقع في خضـــم بحر عربي يزخر بسكان يبلغ عددهم نحـــو مائة مليون ، يحيط بها منهم اكثر من ٤٥ مليونا ـ كيف يمكن تنظيـــم الدفاع عن مثل هذه الارض ، وماذا يجب ان تكون عليـــه ستراتيجيتها وجيشها ؟ » .

لقد جابهت اسرائيل هذه المشكلة ، بأن رسمـــت خطوط ستراتيجيتها بشكل ينسجم مع هذه المعطيـــات ، فغدت متميزة بعدة صفات خاصة بها :

ـ فنظام دفاعها المحلي ، المتمثل بشبكة القـــرى الامامية ، يشكل دفاعا مستمرا موحدا .

ـ ومذهبها في السوق والحرب الصاعقة ، يعتبـــر ضرورة حيوية في بلاد لا عمق لها ، وليس لديها فسحـــة من الارض تتنازل عنها في سبيل التناور .

ـ وطموحها لتحقيق السيطرة الجوية المطلقة يوفر لها حرية العمل . وذلك لان ارضها المكشوفة ، وفقـــدان الغابات والجبال الكثيفة ، يفرضان عليها السعي لتحقيق تلك السيطرة .

وسعيها لطبع الجيش بطابع الليونة والمرونة ، ليغدو قادرا على الحركة السريعـــة ، والاستجابة لمتطلبـــات الحرب الصاعقة .

ـ ٥ ـ

وانطلاقا من هذه الستراتيجية المرسومة ، انشأت اسرائيل لنفسها مذهبا عسكريا (١) خاصا بها ، مستندة في ذلك الى موقعها وجغرافيتها العسكرية وتاريخ وجودها وامكاناتها البشرية والاقتصادية . وتأتي مبادىء الحـــرب في مقدمة هذا المذهب . واذا كانت كل دولة قد انتقـــت لنفسها عددا من هذه المبادىء ، ورتبتها وفق اجتهادها ، فقد انتقت اسرائيل لنفسها المبادىء التالية ، ورتبتهـــا بالشكل الآتي :

ـ المنـــاورة .
ـ والمرونـــة .
ـ والسرعة : في الادراك والقرار والتنفيذ .

ويتضح من هذا الانتقاء والترتيب أن عامل المفاجأة يختبىء وراءها . ولكي يتمكن الجيش الاسرائيلي مـــن تطبيق هذه المبادىء ، فان جميع ضباطه يتلقون التدريبات الخاصة بالمغاوير والمظليين ، كما يتدربون على القتـــال الليلي ، ويعتبرونه النوع المفضل ، لانه يقلب نسبة القوى بين المهاجم والمدافع .

ويتميز المذهب العسكري الاسرائيلي عن معظـــم المذاهب العسكرية الاخرى ، بتبنيه لتعاليم الدين اليهودي فيما يتعلق بشؤون القتال والامور المعنوية . واذا كـــان المذهب الاسرائيلي لا يلقن رجاله هذه التعاليم لغاية دينية فحسب ، فانه ينشرها بين رجاله لكي يعرفوا منها الاجابة

(١) ما يقابل بالفرنسية DOCTRINE

صدر حديثا :

الحـــوار الاخرس

ليلى عسيران

رواية

عن دار الطليعة ـ بيروت ص. ب ١٨١٣

على السؤال الازلي الذي يطرحه الجنود على انفسهم في كل زمان ومكان : لماذا نقاتل ؟ ولقد وجد اليهود الاجابة على هذا السؤال في ثوراتهم ، التي اقتبسوا منها ايضا النظام الاخلاقي الذي يطبق اليوم في الجيش .

واذا كانت معظم المذاهب قد تضمنت تعاليم في الدفاع والهجوم ، فان المذهب الاسرائيلي يعلم رجاله ان شعارهم يجب أن يكون : النصر او الموت ، وان اسرائيل لن تحارب الا مرة واحدة . فاذا كانت الهزيمة في دولة ما من الدول تؤدي الى ضياع جزء من اراضيها ، او الى انهيار نظام حكمها ، او خضوعها لتنازلات محدودة ، فان الهزيمة في اسرائيل لا تعني سوى الزوال من الوجود .

— ٦ —

وتقف على طول حدود اسرائيل ، وفي مراكز التحشد والتدريب ، قوى عسكرية تتألف من الجيش والمنظمات العسكرية التي تردفه . ولا بد لنا من القاء نظرة عابرة على هذه القوى ، لنتعرف نواحي القوة ونواحي الضعف فيها .

وأول مظهر من مظاهر التنظيم والقوة في اسرائيل ، يتمثل في النفير والتعبئة العامة . فلقد أوجدت اسرائيل طريقة جديدة للنفير أسمتها « الحرب الصاعقة » . ففي خلال ٢٤ ساعة تستطيع اسرائيل ان تسوق الى مراكز التجنيد والحشد جميع قواتها الاحتياطية . وفي خلال ٤٨ ساعة يكون جيشها البالغ ٣٠٠٠٠٠ ثلاثمائة الف مقاتل جاهزا للقتال . وبذلك تجند اسرائيل ١٨ ٪ من سكانها ، وهي نسبة عالية تفوق نسب التجنيد في كثير من بلدان العالم . ولا بد من الاشارة هنا الى ان الجيش النظامي لا يتجاوز في الاحوال العادية ثلاثين الف مقاتل معظمهم من الضباط والفنيين ، ومن المجندين الذين يدعون لخدمة العلم ، ومدة هذه الخدمة سنتان ونصف السنة للذكور وسنتان للاناث .

ولا نستطيع في هذه الدراسة الموضوعية ان ننكر ان للجيش الاسرائيلي عدة تجارب حربية ، فهو قد تصدى لجيش الانقاذ ، وللجيوش العربية عام ١٩٤٨ ، واشترك في حرب العدوان الثلاثي ، وشن عدة اعتداءات محلية على الجبهات السورية والاردنية والمصرية .

والمظهر الثالث من مظاهر القوة في اسرائيل ، هو تهيؤها الدائم للحرب ، فكل شيء فيها مسخر لغرض الحرب ، وموجه لخلق امة محاربة : القوانين ، والاحزاب ، والمدارس ، والصحافة ، والمؤسسات الاجتماعية والثقافية ، والادب ، والفكر ، وبطاقات التموين . ويسهم جميع المفكرين والمسؤولين في اسرائيل في التخطيط والتوجيه لخلق دولة عسكرية . ويدعم هذه العقلية العسكرية ، وهذا الاستعداد الحربي ، جهاز الصهيونية العالمية الذي يمد اسرائيل بنبع لا ينضب من العون المادي والمعنوي ، معبئا لذلك امكانات جميع اليهود في مختلف انحاء الارض . ويرافق ذلك كله تقدم علمي مطرد . فلقد أدركت الصهيونية أهمية التفوق العلمي لحياتها وبخاصة في منطقة كالشرق الاوسط . فأسست لذلك « المجلس العلمي » ، الذي يرأسه اليوم العالم الذري المشهور « دوستروفسكي » ، والجامعة العبرية بالقدس ، ومعهد وايزمن في « راهبوت » ، ومعهد « تكنيون » في حيفا . وكلها مؤسسات مهمتها القيام بالدراسات والبحوث العلمية ، بغية تطوير الاقتصاد الوطني ووسائل الدفاع تطويرا فنيا وكميا وكيفيا . وقد جندت اسرائيل لهذه النهضة العلماء والخبراء في الداخل والخارج . اذ لا يخفى ان العلماء اليهود المنبثين في انحاء كثيرة من العالم يؤلفون نسبة عددية لا يستهان بها ، وقد استطاع قسم منهم ان يغزو المؤسسات العلمية ومجالس الابحاث والمختبرات في الدول الكبرى ، وان يحتل مراكز هامة في منظمات علمية ودولية .

هذا عن نواحي القوة ، اما عن نواحي الضعف من الوجهة العسكرية ، فان صغر حجم اسرائيل وشكلها الجغرافي يؤلفان نقطة الضعف الاولى في دفاعها . فقد رأينا كيف ان اندفاعا سريعا نحو وسطها يقسمها الى جزأين ويهدد قلب اسرائيل في تل أبيب التي لا تبعد عن المواقع العربية بأكثر من عشرين كلم . كما ان محاصرة القدس تفصلها عما حولها . يضاف الى ذلك ان ميناء « ايلات » المنعزل معرض للشلل والانسلاخ عن ارض اسرائيل .

وفي دولة ذات شكل جغرافي كاسرائيل ، يبدو الدفاع الجوي بالطائرات غير ذي فائدة ، وذلك لان ضعف عمقها وصغر مساحتها لا يسمحان لها بانشاء سلسلة من المطارات التبادلية . كما ان أرضها كلها تقع ضمن نطاق امدية الطائرات العربية التي تستطيع ان تنال اي بقعة او هدف فيها ، خلال دقائق قليلة ، يبدو فيها جهاز الدفاع الجوي الارضي عاجزا عن ملاحقة الطائرات او اصابتها بشكل مجد مفيد .

وهناك ناحيتان اخريان يتجلى فيهما ضعف الكيان العسكري الاسرائيلي ، وهما قلة عدد السكان بالنسبة للدول العربية ، ثم قلة امكاناتها المادية وثرواتها الطبيعية .

— التتمة على الصفحة ١٢٦

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

سوانح خمسين	فؤاد الخوري
محاورات الكرمليات	ترجمة متري نعمان
غرازيلا — للامرتين	ترجمة مصطفى الحكيم

واحدث ما صدر من

الكتب العربية القيمة

متى تحارب اسرائيل ؟

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٩ ـ

ولا بد لنا من الاشارة هنا ، الى ان مشروع تحويل نهر الاردن يهدف في اساسه الى ازالة نقاط الضعف هذه ، فيزيد مساحة اسرائيل المفيدة ، ويضاعف عدد سكانها ، ويطور اقتصادها ، ويوسع مدى انطلاقتها التجارية ، وبخاصة في افريقيا واسيا .

وتحاول اسرائيل ان تسد منافذ الضعف في كيانها، بحلول تعوضها عن تلك النواحي المهلهلة . وما يهمنا في هذا المجال هو الجيش ، الذي سعت اسرائيل الى رفع مستوى كفاءته وقدرته ، قيادة وتدريبا وتسليحا . وان اسرائيل واثقة ولا شك ، بأنها غير قادرة على مجاراة الجيوش العربية في ميدان التسليح ، لذا فانها تسعى الى الاستعاضة عن الكم بالكيف ، كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ، فسلحت جيشها باسلحة حديثة ، وانشأت صناعات للاغراض الحربية . فقد باعت المانيا الغربية وهولندا والولايات المتحدة الاميركية ونيكاراغوا وبرمانيا اسلحة خفيفه وذخائر من مختلف العيارات والانواع . وأصبحت صناعة السلاح والتجارة به تدران على خزينة الدولة كمية كبيرة من القطع النادر .

وتكفي اسرائيل ذاتها بالاسلحة الخفيفة وذخائرها. أما الاسلحه الثقيلة كالدبابات والطائرات والقطع البحرية فانها لا تزال تستوردها من دول الكتلة الغربية . وأهم الاسلحة التي زود بها الجيش الاسرائيلي طائرات « سوبر ميستير » و « ميراج » النفاثة الفرنسية، ودبابات A. M. X. الفرنسية الحديثة ، وصواريخ « هوك » الاميركية .

ـ ٧ ـ

وهكذا نرى اسرائيل تغرق في تسلحها ، لتغرق بعد ذلك في عدوانها . فقد اقامت كيانها ، ورسمت ستراتيجيتها ، ونظمت تعبئتها ، ووجهت اقتصادها وقواها الفكرية والبشرية والثقافية ، حسب مفهوم الحرب ، وجعلت ذلك كله روافد تصب في مسلك واحد هو : مسلك الحرب . ومهما حاولت ان تخفي صدى فحيحها بنغم السلام الكاذب ، فانها لا بد يوما زاحفة الينا معتدية علينا . فمتى تشن اسرائيل الحرب في المكان الذي تنتقيه والزمان الذي تحدده ؟

ان اول ما يتبادر الى الذهن لدى طرح هذا السؤال ، ان نعود الى عام ١٩٥٦ ، يوم شنت اسرائيل الحرب متدثرة بالاسلحة الفرنسية والبريطانية . لقد قررت ان تشن حربا وقائية . فقد درست ميزان القوى آنذاك ، فوجدت ان سورية ومصر كسرتا طوق احتكار السلاح الذي كان محصورا يومئذ بين ايدي الدول الغربية، لتسلحتا باسلحه من الكتله الشرقيه . وقدرت اسرائيل ان كفه القوى العربيه رجحت حتى اصبح مستحيلا عليها ان تعدل الدهه قط . لان مشكلة اسرائيل ليست في كمية السلاح . اذ انها قادرة على الاستعانة ببعض الدول الاستعماريه التي تزودها بالكميات والانواع التي تريدها. ولكن مشكلتها هي في طاقتها على استيعاب الاسلحة . وهي طاقة محدوده بسعة الارض وعدد السكان .

وحينما ثبت لاسرائيل ان كفه السلاح العربي رجحت كفة طاقتها في الاستيعاب ، قررت البدء بحرب وقائية تعطل بها على الجيشين العربيين فرصة التدرب على استخدام هذه الاسلحه من النواحي التكتيكيه والتكنيكيه والقياديه ، وبخاصة ان الجيشين كانا مضطرين يومذاك الى اعادة تنظيم جميع القيادات والوحدات في مختلف الاسلحة . وفي تلك الفترة الحرجة راحت اسرائيل ، بعد ان تبنت فكره الحرب ، تفتش عن الطريقة التي تسلكها لتبلغ غرضها ، فانتهزت فرصه تاميم قناة السويس ، واستثمرت لوعة الاستعمار الذي فقد صوابه ، ومدت يدها الى فرنسا وانكلترا ، وشنت الدول الثلاث الحرب. الا ان اسرائيل خاب مسعاها ، وخرجت من الجولة خاسرة، منتظرة جولة ثانية .

ان الدرس الذي يمكن ان تلقننا اياه حرب العدوان الثلاثي ، هو ان اسرائيل مصممة على شن حرب وقائية ، كلما ثبت لها ان القوه العسكرية العربيه قد رجحت كفة طاقة استيعابها في التسلح وقدرتها في القتال والدفاع عن كيانها ، شريطه ان تتوفر لها ظروف تبرر العدوان في نظرها ونظر اعوانها من الدول الاستعمارية ، وان لا يكون من وراء ذلك مخاطرة سياسية تؤدي الى زعزعة كيانها كدولة .

فاذا انتقلنا من عام العدوان الثلاثي الى يومنا هذا، الا نجد ان الشروط جميعها متوفرة لاسرائيل كي تشن عدوانا جديدا ، سوى شرط الظرف الذي يبرر هذا العدوان في نظرها ونظر الصهيونيه والاستعمار. وليس من المستبعد ان تجد اسرائيل لنفسها في الايام القادمة المبرر الذي تختبىء وراءه لتنشب أظفارها ، حينما تشرع سورية ولبنان في تحويل مجاري نهري بانياس والحاصباني ، مما يؤثر في قيمة المشروع الاسرائيلي بتحويل مجرى نهر الاردن وفي النتائج المنتظرة منه .

واذا ما أدى موقف العرب هذا الى جنوح مشروع التحويل الاسرائيلي نحو الفشل ، بشكل لا يحقق الاغراض المقصودة ، فقد تلجأ اسرائيل الى وسيلة الحرب ، متعللة بمبرر اقتصادي يتعلق بتطوير المنطقة ونموها الاقتصادي، متسلحة بدعم بعض الدول الاستعمارية لها في موقفها وسلوكها .

صدر حديثا : عن دار الطليعة ـ بيروت ص. ب ١٨١٣

الرأسمالية المعاصرة

تأليف جون ستراتشي — ترجمة عمر الديراوي

واذا كانت اسرائيل في عام ١٩٥٦ قد هدفت في حربها ايضا الى تحطيم مبدأ « الجبهة العربية الواحدة » ، الذي تمثل آنذاك بالقيادة المشتركة ، فانها تواجه الازمة اليوم مرة ثانية ، بشكل اخر ومفاهيم جديدة . ذلك ان مؤتمر الرؤساء والملوك العرب الذي انعقد في القاهرة خلال الشهر الاول من هذا العام ، قد قرر ـ حسبما نشرته الصحف العربية وبخاصة القاهرية ـ تشكيل قيادة مشتركة :

ـ يرأسها قائد عام من القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة .

ـ وتضع الدول العربية تحت تصرفها الوحدات العسكرية التي تتطلبها الخطط المرسومة .

ـ ولها راية واحدة .

ـ ولها الحق في تحريك ونقل القوات التابعة لها الى اي بلد عربي .

وبذلك يتوسع المدى الجغرافي للقيادة المشتركة ، حتى يشمل حدود الوطن العربي من المحيط الى الخليج ، وتغدو هذه القيادة قادرة على التصرف بامكانات عسكرية هائلة ، تردفها طاقات بشرية واقتصادية وسياسية ردبلوماسية عظيمة .

ولا بد لنا هنا من ان نعيد الى الذاكرة موقف اسرائيل من تشكيل القيادة المشتركة الاولى ، وبخاصة من نقل قوات دوله عربية الى ارض دوله عربيه اخرى . فقد اتصف ذلك الموقف بالرفض العنيف لمبدأ « الجبهة العربية الواحدة » ، حيث تعتبر الحدود العربية المحيطة باسرائيل جبهة واحدة ، تخضع لقيادة عمليات واحدة ، وتعمل كالجسم الواحد يديره عقل واحد .

لقد أكدت اسرائيل يومذاك ، في بياناتها الرسمية وتصريحات قادتها ، أنها تعارض معارضة تامة وجود وحدات عسكرية عربية غير اردنية في الاردن . وهي ستقف اليوم مثل هذا الموقف . وقد يجنح بها الامر فتعلن حربا وقائيه ، حينما تبدأ القيادة العربية المشتركة اعمالها ، ويقدم كل بلد عربي ما يتوجب عليه من مال او جيش او ارض . وقد ابدت جميع الدول العربية استعدادها لتنفيذ ما يترتب عليها من قرارات مؤتمر الرؤساء والملوك . فقد صرح وزير خارجية الاردن في القاهرة قائلا : « ان الاردن يضع جميع امكاناته في خدمة قرارات المؤتمر ، على المستويين السياسي والعسكري . وقد ابدى الاردن استعداده لاستقبال اي قوات عسكرية عربية . اذا كانت الضرورة تقتضي وجود هذه القوات في الاردن » .

والى جانب مشكلة القيادة العربية المشتركة ، ستواجه اسرائيل مشكلة جديدة قد تثير جنونها فتدفعها الى هاوية الحرب ، وذلك حينما يتم تنظيم الكيان الفلسطيني عسكريا وسياسيا واجتماعيا . وقد كانت نقطة الانطلاق في هذه القضية قرار مؤتمر الملوك والرؤساء في « تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » . وهكذا ستواجه اسرائيل منظمة سياسية عسكرية جديدة ، هي صاحبة الحق في العودة الى وطنها . وستقف امامها في الهيئات الدولية ، تقارعها الحجة بالحجة . ويوم تكون هذه المنظمة العربية قادرة على ان تشهر السلاح لتضرب خصمها ، فان اسرائيل لن تتورع عن شن عدوان جديد ، يحقق لها شل هذه المنظمة وتخريب قواعدها ومنشآتها .

واذا كانت اسرائيل تتنفس برئتين ، احداهما على البحر المتوسط تصلها باوروبا واميركا ، فان رئتها الثانية على خليج العقبة تصلها بآسيا وافريقيا . وهذه الرئة الثانية التي لا يربطها بقلب اسرائيل سوى خيط واهن من الاتصال ، معرضة في كل حين للشلل والاندثار . ويوم تنقطع اسرائيل عن شريان حياتها الممتد الى الجنوب ، فان اقتصادها وكيانها ومعيشتها ستنهار وتغدو مشلولة . وليس من المستبعد يومذاك ان تنطلق في عدوان يعيد لها رئتها المختنقة . وهذا ما يفسره قول بن غوريون : « ان حرية الملاحة نحو المحيط الهندي ستكون مؤمنة ، اذا لزم الامر ، بواسطه القوات البحرية والجوية والبرية الاسرائيلية » .

ومن المؤكد ان رئة اسرائيل الثانية لن تستطيع البقاء منعزلة نائية ، ولهذا فان مشروع تحويل الاردن سيمنح ميناء ايلات القوة والمنعة ، ويمدها بشرايين الحياة.

وهكذا نعود مرة اخرى ، لندور في دائرة مترابطة الحلقات ، متماسكة في عللها واسبابها . ولن تهدأ اسرائيل حتى تحقق مشروعها في التحويل ، اليوم او غدا او بعد غد .

دمشق — هيثم كيلاني